Enlightenment collection's
ISSN 2716-7852
V :11, N° :02 – 20 Décembre 2021

سلسلة الأنوار
ISSN 2716-7852
المجلد 11، العدد 02 – 20 ديسمبر 2021

# الموت الرحيم بين الرفض والمشروعية

# Euthanasia between objection and legality

**سامية معاطلية***

**جامعة 8 ماي 1945 قالمة/ الجزائر (maatliasamia92@gmail.com)**

**تاريخ الاستلام : 2021/09/11 ؛ تاريخ القبول : 2021/11/03 ؛ تاريخ النشر : 2021/12/20**

**الملخص**

في ظل التطورات العلمية والتقنية التي شهدتها العلوم الطبية والبيولوجية، والتي أصبح معها الطب قادرا على علاج الكثير من الأمراض المستعصية، لكن مع ذلك وقف الطب عاجزا أمام بعض الحالات الميؤوس من شفائها، والتي يعايش فيها المريض حالة من الألم تجعله يتمنى انهاء حياته بكرامة، سواء كان ذلك عن طريق الانتحار أو عن طريق مساعدة الطبيب أو ما يعرف بالموت الرحيم، والذي لقي ردود فعل متباينة بين مؤيّد ومعارض له، بناء على أن الحياة الإنسانية تنزل منزلة المقدّس.

**الكلمات المفتاحية:** الطب، المريض، الكرامة، الحق، الموت الرحيم.

**Abstract**

In the light of scientific and technical advances in the medical and biological sciences, medicine has been able to treat many incurable diseases, yet medicine has been stopped helplessly in the face of some terminally ill cases, in which the patient is suffering such pain that he wishes to end his life with dignity, whether by suicide or through the assistance of a doctor or what is known as euthanasia, which has received varying reactions from both for and against on the basis that human life is considered holy.

**Keywords**: medicine, patient, dignity, Right, Euthanasia.

* **الباحث المرسل:**

## 1.مقدمة:

يعتبر الموت الرحيم من أكبر القضايا الطبية المعاصرة التي ولّدت جدلا واسعا في الأوساط الفكرية، وقد ظهر نتيجة وجود حالات مرضية ميؤوس من شفائها، تعيش لفترة طريحة الفراش، وتعاني من آلام نفسية وجسدية، على الرغم من المجهودات الطبية المبذولة والتطورات التي شهدها هذا القطاع، يقف العلم والعلاج عاجزا أمامها، الأمر الذي استدعى وضع حد لتلك المعاناة من خلال طلب موت الرحمة.

وقد لقيت هذه القضية ردود فعل متباينة بين معارض له ومؤيد، خاصة على الصعيد الأخلاقي، الديني، والقانوني، فما مفهوم الموت الرحيم؟ وما أنواعه؟ وما أبرز المواقف المعارضة والمؤيدة له؟.

## 2) لمحة تاريخية عن نشأة الموت الرحيم:

تعود فكرة الموت الرحيم الى الحضارات والمجتمعات القديمة، والتي طغت فيها العديد من الممارسات المتعلقة بالقتل، حيث أقدمت على وضع حد لحياة الفرد العاجز إما بالقتل الجماعي وامّا بوقف كل أشكال المعالجة الطبية.

وقد تجلى ذلك بوضوح مع أفلاطون من خلال اهتمامه بالبنية الجسدية، عن طريق انتداب أطباء وقضاة في المدينة يعتنوا بالمواطنين ذوي البنية الجسدية والعقلية المتينة، مع اهمال أصحاب الأجساد العليلة وتركهم يموتون، وكذلك أصحاب النفوس المنحرفة والفاسدة، ومما لا شك فيه أن ذلك يعود بالخير على المرضى أنفسهم وعلى المدينة (بيدوح، 2020، صفحة 2).

ومع ذلك فإننا نجد من الأطباء من يرفض هذه الممارسات، اذ تم ربط العمل الطبي بأخلاقيات، والتي تجلت مع الطبيب اليوناني "أبقراط" عبر ذلك القسم الجليل الذي أقسم فيه على احترام الحياة البشرية والمحافظة عليها أثناء أداء العمل العلاجي (بوحناش، 2013، صفحة 248).

كما يثبت التاريخ ظهور نوع من القتل المقترن بسياسة تحسين النسل الاستبدادي، والذي بلغ ذروته مع النازية خلال الحرب العالمية الثانية، وهو عبارة عن مشروع حكومي قومي، يقوم على تفضيل جنس معين من البشر على سائر الأجناس الأخرى، من خلال انتقاء الأكفاء وابادة فئات

بأكملها من الناس تتمثل خاصة في المعاقين والمسنين وأصحاب الذكاء المنخفض (فوكوياما، 2016، صفحة 115).

وإذا كان هذا النوع من الموت الاستبدادي قد تراجع بعد أن اكتوت به البشرية، من خلال الإعلان العالمي لحقوق الانسان وما يلازمه من قوانين هادفة الى المحافظة على حياة الانسان واحترام قدسيتها، الا أنه برز مفهوم جديد للموت في ظل المجتمعات الليبيرالية، يكون خاضعا لرغبة الأفراد بشكل خاص، ويقتصر على الأفراد الميؤوس من علاجهم رحمة بهم، فما مفهوم الموت الرحيم؟.

**3) مفهوم الموت الرحيم:**

إن التعريف اللغوي لمصطلح الموت الرحيم أو Euthanasia باللغة الفرنسية، مشتق من الكلمة الاغريقية Euthanatos ، والتي تنقسم الى قسمين Eu :تعني حسن، و Thanatos وتعني الموت، وهي في مجملها تعني الموت الحسن أو المريح أو الرحيم، أو الموت دون ألم. (جديدي، 2016، صفحة 14).

أما التعريف الاصطلاحي للموت الرحيم أو الموت الحسن، فيمكن حصره في أنه عبارة عن تدخل طبي أو فعل التعجيل للموت بدافع الشفقة، لمريض مستعصي على العلاج، أو دخل في حالة غيبوبة دائمة، أو طفل ولد أو سيولد بتشوهات خلقية بالغة الخطورة، وذلك بهدف تجنيبهم المعاناة والآلام. (جديدي، الأفق البيواتيقي، 2021، صفحة 140).

ومع تعدد التسمية لهذا النوع من الموت الا أن تسمية الموت بدافع الشفقة أدقها تعبيرا، لأن هدفها الأساسي من وضع حد لحياة مريض ميؤوس من شفائه، هو الشفقة عليه قصد تخفيف آلامه.

وينقسم الموت الرحيم الى نوعين:

أ-**الموت الرحيم الإيجابي (الفعّال) « Euthanasie active »**: وفيه يتم إعطاء المريض جرعات من مواد مهلكة للتسبب في موته.

ب-**القتل الرحيم السلبي (المنفعل) « Euthanasie passive »**: ويعني إيقاف العلاج اللازم، مع رفع أجهزة التنفس عن مريض ميؤوس من علاجه (العابدين، 2016، الصفحات 106-107).

**4) المواقف البيواتيقية من الموت الرحيم:**

**4-1-موقف الشريعة الإسلامية:**ان مصطلح الموت الرحيم في المنظور الديني مصطلح حديث، اذ أنه لم يرد في النصوص الدينية، وبالتالي فان هذه المسألة لا وجود لها بالأساس ولا تتوافق مع معتقداتنا، فما يسمى قتلا رحيما من المنظور الديني ما هو الا صورة من صور الانتحار وقتل النفس التي حرم الله، والنص القرآني في ذلك صريح لقوله تعالى: " ولا تقتلوا النفس التي حرّم الله الا بالحق" (سورة الأنعام/ الآية 151)، وقوله: *"ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيما"* (سورة النساء / الآية 29).

لقد حرّم الدين الإسلامي الاعتداء على النفس بغير حق، فالاعتداء على حياة الانسان ما هو الا اعتداء على إرادة الله سبحانه وتعالى، لأن جسم الانسان وحياته ملك لله تعالى، يقول تعالى "من قتل نفسا بغير نفس أو فساد في الأرض، فكأنما قتل الناس جميعا" (سورة المائدة / الآية 32).

ان الحياة الإنسانية تنزل منزلة المقدّس في الديانات السماوية، لذا أكّدت الشريعة الإسلامية على المحافظة عليها، فالطبيب ليس أرحم بالإنسان من خالقه، فالله هو واهب الحياة وهو الذي سيأخذها في أجلها المسمى، لذا حرّم قتل المريض نتيجة اليأس من شفائه، لقوله تعالى *"ولا تيأسوا من روح الله انّه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون"* (سورة يوسف/ الآية 87)، ففي هذه الآية يفيض نور الأمل الذي ينبغي ألا يغيب عن مؤمن في حياته، فليس هناك أرحم بالإنسان من الله سبحانه وتعالى لقوله *"ورحمتي وسعت كل شيء"* (سورة الأعراف/ الآية 156).

**4-2-الموقف القانوني:** أثار مصطلح القتل الرحيم جدلا واسعا بين الأطباء ورجال القانون، حول مشروعية اللجوء اليه في الحالات المرضية الميؤوس من شفاءها، وذلك للتخفيف من آلام المريض رحمة به، لكن أغلب التشريعات القانونية ترفض قضية الموت الرحيم، بالنظر الى أن حق الحياة حق مقدس ينبغي حمايته قانونيا.

ان جميع القوانين في أكثر دول العالم لا تعترف بالقتل الرحيم لأي سبب من الأسباب، وتوجب العقاب على من يقوم به باعتباره نوع من أنواع القتل، وإذا كان تصرف الطبيب في هذا الإطار سلبيا لأنه امتنع عن مساعدة المريض فان سلوكه هذا يجعل منه في كثير من الدول وعلى

رأسها فرنسا متهما، ومعنى ذلك أنه في حالتي القتل الرحيم الإيجابي والسلبي هناك جريمة (بوعبيدة، 2016، صفحة 9).

ففي القانون الفرنسي لم يرد نص خاص على جريمة القتل بناء على الطلب، بل ترك الأمر للقواعد العامة التي تعاقب على جريمة القتل العمد طبقا للمادة 265 من قانون العقوبات، فضلا على أن رضا المجني عليه لا يعتبر سببا لإباحة جريمة القتل (شريف، صفحة 216).

فقد أثارت قضية انتحار ربة بيت "شانتال سيبير" في عام 2008، بعد أن قدمت طلبا للقضاء لقتلها قتلا رحيما، بسبب اصابتها بورم سرطاني شوّه وجهها، وقد رفض طلبها، وحسب تصريح وزيرة العدل "رشيدة داتي" أن هذه السيدة تريد من العدالة أن ترفع المسؤولية الجزائية عن طبيبها، لكن التشريعات الفرنسية مؤسسة على مبدأ الحق في الحياة (بلجبل، صفحة 265 ).

أما بالنسبة لموقف القانون الأمريكي فانه لا يسمح بالقتل الرحيم، ويعاقب فاعله بمسؤولية القتل العمد، وعلى العكس من ذلك نجد أن ولاية أريغون سمحت بالقتل الرحيم المباشر، وذلك بأن يعطى المريض الميؤوس من شفائه حقنة قاتلة بناء على طلبه (بومدين، صفحة 211).

في حين اعتبر التشريع الهولندي أهم التشريعات التي أباحت الموت الرحيم، حيث نص القانون على اتباع إجراءات محدّدة، شريطة ابداء المريض رغبة واضحة في الموت، وأن تكون معاناته كبيرة ولا شفاء منها، كما يتعين على الطبيب استشارة الطاقم الطبي قبل الاقدام على فعل القتل الرحيم (بلجبل، صفحة ص266).

أما عن موقف المشرع الجزائري فهو لا يعترف بالموت الرحيم، فهو لم يسن له حكما خاصا، وبالتالي فانه يخضع لعقوبة القتل العمد المنصوص عليها في المادة 254 من قانون العقوبات (شريف، صفحة 217).

ومع ذلك فان مجتمعنا ليس بمنأى عن هذه الظاهرة المتمركزة فيه بصمت، وان لم تكن بالإيجاب فهي بالسلب، فالوضعيات السلبية للهيئات الاستشفائية هي انعكاس لموت رحيم غير معلن، ولا يريد القائمون على شؤون الصحة تحمل مسؤولياتهم والاقرار بهكذا حالات أوتنازية (جديدي، الأفق البيواتيقي، 2021، صفحة 147).

**4-3-موقف بعض الفلاسفة من الموت الرحيم:**

**أ-هانس يوناس:** لقد جاءت آراء الفيلسوف الألماني "هانس يونس" واضحة إزاء مسألة الموت الرحيم، محاولا بذلك التوفيق بين الآراء المتضاربة بخصوص هذه القضية بين مؤيد ومعارض لها.

ان موضوع الحق في الموت الرحيم حسب "يوناس" لا ينبغي التصرف فيه من قبل الطبيب، وفي هذه الحالة يكون الطبيب ملزما بقول الحقيقة للمريض، لأنه على اطلاع تام بوضعه الصحّي، فمن الواجب الأخلاقي أن تحترم استقلالية المريض في اختياره الحر، وخصوصا عندما يتعلق الأمر بإشرافه على الموت (العايب، 2010، صفحة 59).

ان ربط "هانس يوناس" لقضية الموت الرحيم بحرية الفرد في اختياره، لا تشمل حالات الانتحار، وانما ترتبط بالحالة التي يكون فيها المريض يعاني وميؤوس من شفائه، اذ ينبغي أن تتوفر في هذه الحالة أسباب مناسبة للوفاة (haché, 2001, p. 18).

وبذلك فان مسألة الموت الرحيم لا ينبغي أن تكون بيد الطبيب على الاطلاق، وفي جميع الأحوال والظروف لن يسمح له بهذا الحق، ولا ينبغي أن يكون مفروضا عليه، حتى لا يصبح دور الطبيب يمثل خطرا في المجتمع، وحتى لا يؤدي ذلك الى هدر الحقوق (العايب، 2010، صفحة 60).

وفي الحالة التي يكون فيها المريض غير قادر على اتخاذ القرار، فهل من الممكن وقف العلاج الذي يعتبر غير ضروري؟ فمن الذي ينبغي عليه أن يتخذ القرار بشأن مريض مصاب بمرض لا يمكن علاجه وغير قادر على اصدار حكم واضح بشأن هذه المسألة؟ هنا جاءت آراء "يوناس" البيواتيقية متوافقة مع فلسفته الايكولوجية خصوصا فيما يتعلق بمبدأ المسؤولية، اذ ربط "يوناس" هذا الأمر بمسؤولية أقرب الناس له، التي

تكون نابعة من الحب كالمسؤولية الأبوية (haché, 2001, p. 19).

**ب-فرانسوا داغوني:** يرى "فرانسوا داغوني" أن للإنسان الحق في الموت كحقه في الحياة حتى في تحديد أجله، فالموت الرحيم ينبغي أن يدخل في إطار الحرية التي هي الأساس الذي تنبثق منه سائر الحقوق.

لقد اتضح موقف "داغوني" بخصوص مسألة الموت الرحيم خلال حوار له في مجلة les grands entretiens du monde، فحين سأل عن هذه القضية كان جوابه: "إذا أردت واخترت الموت الهادئ دون ألم، نتيجة أنني مصاب بمرض مزمن، فهذا لا يجعلني أحمل الطبيب مسؤولية ذلك لأنه منحني هذا الموت، هذا الحكم ليس عادلا وغير مقبول، ما دمت أنا الذي طلبت الموت واخترته، ولذا تجدني أختلف مع المواقف الراهنة التي تقدمها البيواتيقا، ولا نرى شيئا أفضل من أن نترك الحرية للفرد في القبول أو الرفض" (حربوش، 2007، الصفحات 140-141)، وهذا يعني أن فرانسوا داغوني كان من المؤيدين للموت الرحيم لأنه يرتبط بشكل خاص بحرية الانسان وبحفظ كرامته، والتي تعتبر من أهم المبادئ التي لا ينبغي التنازل عنها، كما أن "داغوني" على الرغم من بعض مواقفه المتحفظة تجاه بعض التطبيقات الطبية كتحسين النسل والاستنساخ الذي يرفضه رفضا مطلقا، الا أنه ينظر الى البيوتكنولوجيا على أنها وسيلة تحرر الانسان من قيوده والمعضلات التي تواجهه في حياته، طبعا في حالة الاستغلال العقلاني لها.

**خاتمة:** وفي الختام نستنتج أن الموت الرحيم هو تسهيل موت شخص ميؤوس من شفائه، وقد لقي الموت الرحيم استهجانا من الناحية الأخلاقية والدينية والقانونية، بناء على أن الحياة الإنسانية تنزل منزلة المقدس في الديانات السماوية، إضافة الى أن الحق في الحياة من أهم الحقوق التي يدافع عنها القانون سواء كان الانسان سليما او مريضا، اذ تجرّم أغلب التشريعات الموت الرحيم وتصنفه ضمن أفعال القتل العمد، فالمفهوم الحق للرحمة ليس بإنهاء حياة مريض ميؤوس منه، وانما بمساعدته والتخفيف عنه نفسيا وجسديا.

لكن المدافعون عن حق الانسان في الموت حتى في تحديد أجله، كان تحت حجة الكرامة الإنسانية، فللإنسان الحق في الموت الهادئ والكريم، ومن الناحية الإنسانية لا ينبغي ترك مريض ميؤوس من شفائه يعاني دون وضع حد لمعاناته، فحسب "داغوني" الموت الرحيم ليس منح الموت للمريض، وانما تقريب مالا مفر منه، أي تقريب الآجال.

ان القتل بدافع الشفقة سيظل قضية تتأرجح بين التأييد والمعارضة، ومصدر جدل وخلاف واسع يصعب حسمه، ومع ذلك من وجهة نظري ينبغي ألا تتعارض أفعال الطبيب مع الرسالة التي يؤديها، خاصة أن مهنته هي المحافظة على الحياة الإنسانية.

**قائمة المراجع:**

1.haché, E. (2001). *jonas hans, le droit de mourir, laval théologique et philosophique haché, jonas hans, le droit de mourir, laval théologique et philosophique, volume 57, numéro2* .

2. العمري حربوش. (2007). *التقنيات الطبية وقيمتها الأخلاقية في فلسفة فرانسوا داغوني (مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة)*. قسنطينة: جامعة منتوري.

3. جليد شريف. (بلا تاريخ). *الموت الرحيم، مجلة البحوث والدراسات القانونية والسياسية، العدد الثالث عشر*.

4. زهية العايب. (2010). *الأخلاق الجديدة لمستقبل الإنسانية والطبيعة عند هانس يوناس ( مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة)*. قسنطينة: جامعة منتوري.

5. سمية بيدوح. (2020). الموت الرحيم: الفرد والكرامة. *مجلة مشكلات الحضارة*.

6. عتيقة بلجبل. (بلا تاريخ). *القتل الرحيم بين الاباحة والتحريم، مجلة الفكر، االعدد6*.

7. فاطيمة الزهرة بومدين. (بلا تاريخ). *القتل الرحيم في المنظور الطبي والقانون الوضعي، مجلة جامعة الأنبار للعلوم القانونية والسياسية، العدد 10*.

8. فرنسيس فوكوياما. (2016). *مستقبلنا بعد البشري (عواقب ثورة التقنية الحيوية)*. (إيهاب عبد الرحيم محمد،، المترجمون) أبو ظبي: مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية.

9. فهيمة بوعبيدة. (2016). *في مفهوم الموت الرحيم ومشروعيته، دراسات فلسفية، العدد 13*.

10. محمد جديدي. (2016). *البيواتيقا ورهانات الفلسفة القادمة*. مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث.

11. محمد جديدي. (2021). *الأفق البيواتيقي*. الجزائر: دار ميم للنشر.

12. مغربي زين العابدين. (2016). *الموت الرحيم: حق انساني أم انزياح أخلاقي، ضمن كتاب: الأخلاقيات التطبيقية والرهانات المعاصرة للفكر الفلسفي*. الجزائر: الجمعية الجزائرية للدراسات الفلسفية.

13. نورة بوحناش. (2013). *الأخلاق والرهانات الإنسانية*. الدار البيضاء: أفريقيا الشرق.